

الفصل السابع

فلسفة العصا

عصا التعليم

إنّ نموّ الطفل تحت رعاية الوالدين هو وقت يقضيه في ورشة الله الأخلاقية التي تؤهله للمواطنة السّماوية. ومع تطوّر الطّفل، يجب على الوالدين أن يجسّدا بدقّة الحكومة الأخلاقية لإلهنا المقدّس. والعصا هي وسيلة الوالدين الرّئيسية الملموسة لجعل الطّفل يفهم حكم الله، وفي النهاية نعمة الله أيضاً.

بالنسبة إلى الطّفل الصّغير، الأبّ والأمّ هما حماة القانون، المدافعون عن الحقيقة ومنفّذو العقاب والجزاء. الوالدان نافذة يحصل من خلالها الطّفل على انطباعاته الأولى عن المبادئ الأساسية للحكومة الإلهية. إذا وضعت قواعد ولم تلتزم بها، دليلاً على عدم احترامك لها، فإنّك تبلّغ الطفل رسالة عن عدم احترام القانون بشكل عام. كذلك رد فعلك نحو مخالفاتك هو تجسيد لتجاوب الله. وباستعمال العصا يفهمون مسؤوليتهم أمام الله. ما لم تتم معالجة التعديات والتمردّ وخسة النفس كما يعامل الله الخطية، فإن نظرة الطّفل إلى العالم ستكون خاطئة.

في الجيش يستعملون أعيرة نارية حقيقية في تدريب الجنود على تجنّب نيران العدو. وبالقياس فإن استبدال العصا بتهديدات

خاوية يشبه استبدال الذخيرة الحية بالألعاب النارية. إن ذلك يُودي بأرواح الجنود إن عاجلاً أو آجلاً..

إذن، الاستعمال الصحيح للعصا لا غنى عنه بالنسبة إلى تكوين نظرة متزنة عن العالم، لأن العصا تكمل مفهوم القانون والحساب. إذا لم تحترم السلطات الدنيوية القانون بما يكفي لفرض عقوبات على مخالفته، فكيف يصدق الطفل أن السلطة الأبدية العظيمة ستكون غير ذلك؟

مخافة الله

يجب أن يأخذ الطفل القانون الأخلاقي بجديّة. «بَدْءُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ الرَّبِّ، وَمَعْرِفَةُ الْقُدُّوسِ فَهْمٌ» (أمثال ٩: ١٠). وقال بولس في تعريف أصل الخطية: «لَيْسَ خَوْفُ اللَّهِ قُدَّامَ عُيُونِهِمْ» (رومية ٣: ١٨). الاستعمال الصحيح للعصا يعلم الخوف الصحي. لا تقع ضحية للتفسير الحديث الذي يقرأ «الخوف» على أنه «احترام». لأن يسوع قال: «بَلْ أُرِيكُمْ مِمَّنْ تَخَافُونَ: خَافُوا مِنَ الَّذِي بَعْدَمَا يَقْتُلُ، لَهُ سُلْطَانٌ أَنْ يُلْقِيَ فِي جَهَنَّمَ. نَعَمْ، أَقُولُ لَكُمْ: مِنْ هَذَا خَافُوا!!» (لوقا ١٢: ٥). يميّز الكتاب المقدس بين الإكرام، والمحبة، والخوف: «أَكْرِمُوا الْجَمِيعَ. أَحِبُّوا الْإِخْوَةَ. خَافُوا اللَّهَ. أَكْرِمُوا الْمَلِكَ» (١ بطرس ٢: ١٧).

إننا لم نقبل «روح الفشل [الخوف]» إلا أننا نحن الذين نفهم الأبدية نخاف أن نكون على خلاف مع «المنتقم» من كل شرّ.

تذكروا أنكم تُعدّون أطفالكم للحياة الحقيقية في عالم حقيقي، وأنه سيواجه إلهاً حقيقياً في يوم حساب حقيقي ليكون جزاؤه أبدية حقيقية. هذه ليست تمثيلية؛ إنما هي جائزة عظيمة، وخسارتها رهيبة جداً. فجدير بالوالد أن يجعل هذه أولويته العليا.

نعمة التفاهم

إن الغرض النهائي الذي يرنو إليه المسيحي ليس مجرد الاستسلام إلى حكم القانون، لكن أن يفهم الطفل نعمة الله. من خلال سيف الناموس الحاد نفهم النعمة. اللون الأبيض غير ظاهر حتى يوضع على خلفية مظلمة. والقانون أو الناموس إن هو إلا «مُؤدَّباً إِلَى الْمَسِيحِ» (غلاطية ٣: ٢٤). والله لم يُظهر ذاته على جبل الجلجثة إلا بعد إظهار ذاته أولاً على جبل سيناء.

عن طريق فرض قواعد البيت بصرامة من خلال وضع القوانين والمسؤولية والعقاب، أنت لا تعلمهم فقط أن يخافوا ويحترموا واضع القانون، بل أيضاً تخلق فرصاً لإيضاح عمل النعمة. وما أقدسها من مسؤولية!

بعدما وضّحنا بعض القضايا المهمة الخاصة باستعمال العصا وفلسفتها، دعونا نرجع إلى مناقشتنا الخاصة بالتدريب.